مقياس النقد السيميائي

سيميولوجيا دي سوسير

السنة الثالثة- دراسات نقدية -

فرديناند دو سوسير

فردناند دو سوسير في سطور

- فردناند دو سوسير Ferdinand de Saussure (1857–1913)، ولد بجنيف بسويسرا، والده كان عالما للمعادن والحشرات والتصنيف، مؤسس علم اللغة الحديث، عُني بدراسة اللغة الهندية الأوروبية، اللغة في تصوره ظاهرة اجتماعية، ترك لنا كتابه (بحث في الألسنية العامة) والذي نشر بعد وفاته سنة 1916، دعا إلى دراسة اللغة دراسة وصفية بعد أن كانت قبله تدرس تاريخيا، ودعا إلى استقلالية علم اللسانيات عن بقية العلوم.
- كان سوسير أستاذا للسانيات في جنيف وباريس وبرلين، قام بتدريس اللغات السنسكريتية والجرمانية واليونانية واللتوانية. ونشر كتابا بعنوان (أطروحة على نظام الحرف المصوت البدائي في اللغات الهندوأوروبية).
- من أقواله: «تعتبر اللغة كنز ناتج عن تجربة النطق موضوع في كل إنسان من نفس المجتمع، وهي جهاز قواعد لغوية موجودة في مخ كل إنسان أو في أمخاخ مجموعة من البشر، لأن اللغة توجد فقط عند الأغلبية» وهو تمييز واضح بين اللغة والكلام لأول مرة، ومن هذه التقسيمات أمكن فهم كل أنظمة اللسان البشري عامة وبالتالي العلامة اللسانية.

بدايات السميولوجيا عند دو سوسير

- منذ ظهور كتابه « دروس في علم اللغة العام» سنة 1916، تغيّرت مسارات الدراسات اللغوية والمعرفية، ومن خلال هذا الكتاب بشّر دو سوسير بظهور علم السيميولوجيا الشامل لكل الأنظمة الإشارية، يقول في هذا السياق: « **إنّ اللسان نسق من العلامات المعبّرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وبأشكال الآداب والإشارات العسكرية، إلا أنّه يُعدُّ أرقى هذه الأنساق، من هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدارسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية ...، ويُمكن أن نُّطلق على هذا العلم السيميولوجيا، وستكون مُهمته هي التعرّفُ على كُنه هذه العلامات وعلى القوانين التي تحكمها ....، ولن تكون اللسانيات سوى جزءٍ من هذا العلم العام، وستُطبّقُ قوانينه التي سيتمُّ الكشف عنها على اللسانيات**»

العلامة عند دو سوسير

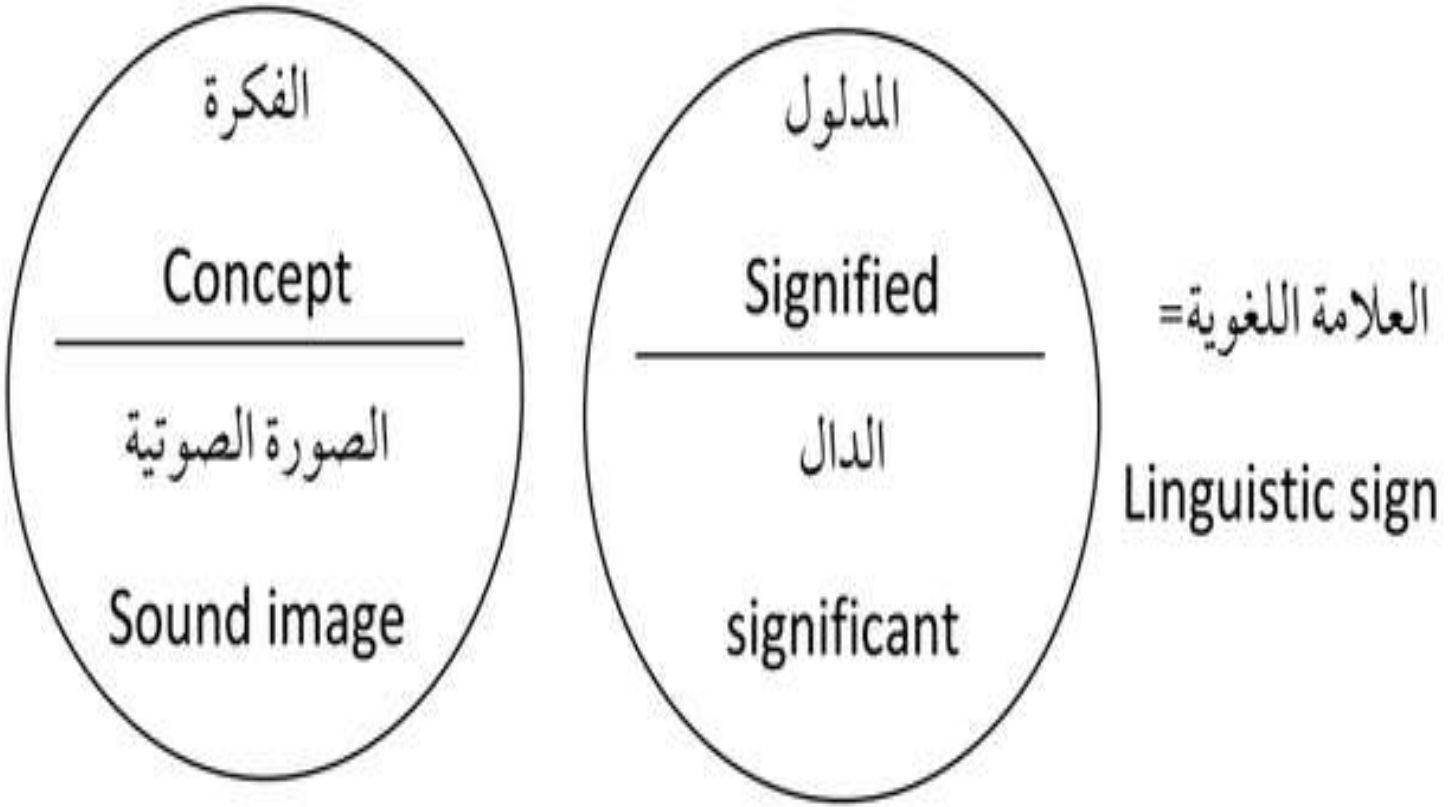

- خلافا لما رآه بورس، فالعلامة عند دو سوسير ثنائية المبنى، وكل تحليلاته ثنائية الفروع، فاللغة عند سوسير تعبّر عن هوية نفسية، والعلامة اللغوية لا تجمع بين الشيء واسمه، بل تجمع بين المفهوم والصورة الصوتية وهذا لأن اللغة ترتبط بمسألة الفكر، وبإمكان الأصوات أن تصور لنا في أنفسنا عوالم مختلفة دون تحريك اللسان، وبهذا فالعلامة اللغوية تتكون من دال(صورة سمعية) ومدلول(صورة ذهنية) العلاقة بينهما اعتباطية تقوم على عقد اجتماعي، وهو بهذا أهمل البعد الثالث للعلامة.
- يقول دي سوسير مبينا مقصده من الدال: « **إن الصورة الصوتية ليست الصوت المادي، إنّها شيء فيزيائي خالص، ولكن الطابع النفسي للصوت هو الانطباع الذي يحدثه على مشاعرنا،... إن الميزة النفسية لصورنا الصوتية واضحة عندما نلاحظ كلامنا**»

- الدال عند سوسير كيان يحل محل شيء آخر يتميز بـ :

1- نفسي وليس ماديا: فالدال هو البصمة النفسية التي تلتقطها أذن المتلقي، إنه نفسي لأننا نستطيع أن نتحدث إلى أنفسنا أو نستظهر مسرحية أو قصيدة شعرية دون تحريك الشفاه,

2- مفروض وليس حرا: فالدال الذي يختاره اللسان لا يمكن استبداله بآخر لأنه ينفلت من إراداتنا ومن قدرتنا على إحلال عنصر آخر محله، لأنه نتيجة عرف، والعرف أقوى وأعمق من سلطة القانون.

- أما المدلول فهو تصوّر ذهني يمتلكه الفرد عن الواقع الخارجي، وبما أنه تصور فهذا يلغي الطابع المادي المحسوس للمدلول، فالمدلول هو الآخر ذو طبيعة نفسية، وهو تصور ذهني لا مادي, هذا الطابع الثنائي للعلامة المُقصية للمرجع الخارجي وسمها بالانغلاق على ذاتها وشكلنة الخارج للانطواء على الداخل .

- هناك علامة لسانية وعلامة سيميولوجية، فالسيميولوجية تنحصر في دلالتها في وظيفتها الاجتماعية، هذه الوظيفة رهينة باستعمال مشروط بحلول وقته وأوانه (لبس المعطف)، بينما العلامة اللسانية توحّدُ بين دالها ومدلولها كما توحد الصفحة بين وجهها وظهرها.

ثنائية اللغة/اللسان والكلام

- فرق دي سوسير في هذا المقام بين ثلاثة مصطلحات: اللغة، واللسان، والكلام، فاللغة ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة تنتج من المَلَكَة اللغوية، واللسان جزء معيّن متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع، وهو اجتماعي وعرفي مكتسب، ويشكل نظاما تتعارف عليه جماعة إنسانية محددة، كاللسان العربي والفارسي والفرنسي...، وفي لغتنا العربية يطلق على اللسان(اللغة)، بينما الكلام شيء فردي ينتمي إلى اللسان، ودعا سوسير إلى التركيز على اللسان لأنه اجتماعي عرفي,
- فاللغة عند دي سوسير « **عنصر محدد مستخلص من خصائص لغوية متغايرة الخواص عموما إنه النظام الذي أسسه نوع من الاتفاق بين أعضاء المجتمع الذي وحدَه يجعل الأمر ممكنا في فهم بعضهم بعضا**»، وهنا يُقِر سوسير بأن الكلام أوسع من اللغة من حيث اختصاص اللغة بفئة معينة تربط بينهم روابط محددة.

- اللغة ثروة مختزنة لدى الأفراد، على اختلافها من فرد لآخر، ومن خصائصها:

1- جماعية عامة.

2- موحدة ومنسجمة.

3- نفسية وغير مدركة ولا محسوسة بصفة مباشرة.

4- نسق من العلاقات والقواعد والتصنيفات النحوية والصرفية والقوالب التواصلية المجردة.

وبهذا تكون اللغة مستقلة عن كل تنوع يصف به أي فرد.

أما الكلام (parole) هو كل ما يختاره أفراد المجتمع من مفردات وتراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق، فالكلام إنجاز فردي ملموس لقواعد اللغة، والفردي يقوم على عنصر الاختيار، فهو لا يمكن التنبؤ به، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة علمية.

ثنائية التزامن والتعاقب

- هذه الثنائية تتعلق بمناهج الدرس اللساني، حيث تُدرس الظواهر اللسانية بالنظر إلى الزمن بإحدى طريقتين :

الأولى: هي الدراسة في زمن محدد دراسة وصفية تزامنية.(السنكرونية – Synchronie)

الثانية: دراسة تجري عبر مراحل زمنية متتالية دراسةً تاريخية تعاقبية. (الدياكرونية – Diachronique)

ثنائية المحور الاستبدالي والنظمي

- المحور الاستبدالي العمودي الاختياري (الغياب) يُقصد به المجموعات اللغوية الحاضرة في الذهن، والمحور النظمي الأفقي الخطي التركيبي (الحضور) هو المجموعات اللغوية الحاضرة في الجملة، ولإدراك المعنى لا بد للنظر إلى المحورين معا.

خصائص العلامة السوسيرية

1- الطابع الاعتباطي .
2- التسلسل الخطي للعلامة.
3- السمة المميزة (باستبدال حرف يتغير المعنى)
4- التقطيع المزدوج (مورفيم - فونيم)